المسلم في فصل الصيف

كَتَبَهُ

أبو علي زين العابدين بن كامل

قَدَّمَ لَهُ

الشَّيْخ الدُّكْتُور

يَاسِر بُرهَامِي

الشَّيْخ الدُّكْتُور

سعيد الــروبي

توزيع

دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية أبو سليمان ش عمر

أمام مسجد الخلفاء الراشدين

٠١٠٦٧١٤٧٦٨ -

دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية مصطفى كامل

بجوار مسجد الفتح الإسلامي

٠١٢٥٨٣٤٥٧٤





المسلم في فصل الصيف

تأليف

زين العابدين كامل

الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م



رقم الإيداع: **١٥٢٢٩ / ٢٠٠٧**

الإدارة : ٠١٠٥٠١٣١٥١ المبيعات: ٠١٢٠١٥٢٩٠٨

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ٣

تقديم الشيخ ياسر برهامي ٤

تقديم الشيخ سعيد الروبي.. ٥

مقدمة المؤلف.. ١١

الوقفة الأولى : الصيف والاستقامة ١٦

الوقفة الثانية : الإجازة الصيفية واغتنام الأوقات ٢٧

الوقفة الثالثة : اللهو والتوسع في المباح.. ٤٨

الوقفة الرابعة : حر الصيف ٦٠

الوقفة الخامسة : العبادة في فصل الصيف ٧١

الوقفة السادسة : حقوق الأبناء في فصل الصيف.. ٨١

الوقفة السابعة : هُويتنا في فصل الصيف.. ٩٦

الخاتمة.. ١٠٧

تقديم الشيخ ياسر برهامي

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

فإن المسلم يهتم دائمًا بواجب الوقت الذي هو فيه، ويغتنم الفرص في كل زمان ليحقق عبوديته لله سبحانه التي خُلِق من أجلها، وزمن الصيف له واجباته فعلًا وتركًا، فهناك أمور يلزم المسلم والمسلمة فعلها، وهناك أمور يلزم المسلم والمسلمة تركها.

وفي هذه الرسالة المختصرة لأخينا الكريم/ **زين العابدين** تجد مجموعة من واجبات هذا الفصل، نسأل الله أن يعيننا جميعًا على ذكره وشكره وحسن عبادته في جميع الأوقات حتى نلقاه، وأسأل الله أن ينفع بها كاتبها ومراجعها وقارئها وناشرها.

كتبه

ياسر بن حسين برهامي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الشيخ سعيد الروبي

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ولا يضر إلا نفسه ولا يضر الله تعالى شيئًا...

وبعد:

فقد قرأت رسالة أخي في الله « **زين العابدين كامل** »، بعنوان « **المسلم في فصل الصيف** » وهي رسالة نافعة مفيدة، جمع فيها الأخ **زين العابدين** مسائل هامة تتعلق بفصل الصيف من الناحية الدينية وتناول فيها أهم المسائل والقضايا التي تهم المسلم في فصل الصيف، كالاستقامة على شرع الله، واغتنام الأوقات، وعدم التوسع في المباح، وحقوق الأبناء في فصل الصيف، وختم الرسالة بقضية من أهم القضايا المعاصرة

ألا وهي قضية الهوية وضرورة إيجاد الشخصية المسلمة المستقلة.

ولما قرأت الرسالة تمنيت لو أن الخطباء في المساجد تناولوا ما فيها من موضوعات في خطبهم ودروسهم وكلماتهم في فصل الصيف، وتمنيت لهذه الرسالة أن يقرأها كل مسلم فينتفع بما فيها من تذكرة ونصيحة، وتمنيت لو أن رجلًا صالحًا يشتري أعدادًا منها فيوزعها مجانًا في فصل الصيف أو يضعها في المساجد.

وأسأل الله أن يكتب لها القبول والانتشار ، وأن ينفع بها كاتبها وقارئها ومن قدم لها ومن عمل بها ومن دعي إليها ، والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الفقير إلى رحمة الله وعفوه

سعيد الروبي

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله.

أما بعد :

فبعد نفاذ الطبعة الأولى من رسالة المسلم في فصل الصيف تقوم دار الخلفاء الراشدين بإعادة طبعها مرة أخرى، وهذا من فضل الله تعالى وكرمه أن يجعل للرسالة القبول، والله أسأل أن يجعلنا ممن يقولون فيعملون ويعملون فيخلصون ويخلصون فيقبلون... اللهم آمين.

وبعد صدور الرسالة جاءت بعض الاتصالات من بعض الأخوة والأخوات حول البديل لأنني ذكرت في الرسالة أنه يصعب جدًا أن نجلس على شواطئ البحار ونحو ذلك، ونحقق الضوابط الشرعية في ظل هذا الواقع وهذه المنكرات.

فكان السؤال ما هو البديل ؟ والجواب :

أولًا: كيف ومتى تتحقق الغربة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث « **بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء** »[1]، إذا كنا نريد أن نكون مثل غيرنا، فمن هم هؤلاء الغرباء بل ومن الشرف أن نعيش هذه الغربة وأن تشعر أنك من هؤلاء الذين بشرهم رسول الله ﷺ .

ثانيًا : البديل يكون لضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، أما الخروج لهذه الأماكن فليس من الضروريات التي يلزم أن نبحث لها عن بديل.

ثالثًا: هذا هو الالتزام الحقيقي أن تمسك على دينك في ظل هذه الشهوات والشبهات، كأنك تقبض على جمرة من نار وفي الحديث أن رسول الله ﷺ **كان ينهى عن كثير من الإرفاه**[2].

---

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني. **والإرفاه**: أي الرفاهية.

وكما هو معلوم أن الجنة حفت بالمكاره والنار بالشهوات، فلا تكن إمعة تفعل كما يفعل الناس، ولكن كن صاحب شخصية مسلمة مستقلة متبوعة وليست تابعة إلا لشرع الله جل وعلا، ثم أقول لو وجد هذا المكان الذي نستطيع فيه أن ننضبط بالضوابط الشرعيـة، كبعض الأماكن البعيـدة عن الاختلاط والفجور والتبرج والمنكرات؛ فلا بأس ولا حرج.

وأنبه أيضًا على حضور البعض الأفراح المحرمة التي تنتشر في فصل الصيف بدعوى ماذا نفعل، سيغضب الأهل والأقارب في حالة عدم حضورنا ؟

يا أخي يا أختي لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كيف تغضب ربك لتُرضي أحد أقاربك، ويكفي أن أذكرك بهذا الحديث: « **ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير أسمها يضرب على رؤوسهم بالمعازف، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير**»[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

زين العابدين كامل

(١) أخرجه ابن ماجة ، وابن حبان ، والبيهقي ، وصححه الألباني .

مقدمة المؤلف

الحمد لله الملك القهار ، العزيز الجبار ، الرحيم الغفار ، مقلب القلوب والأبصار ، مقدر الأمور كما يشاء ويختار ، مكور النهار على الليل ، و مكور الليل على النهار ، خالق الشمس والقمر يجريان بحسبان ومقدار ، سبحانه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، خلق الخلق وكتب عليهم الفناء ، الكل يفنى وله وحده البقاء ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

زكاه ربه في عقله ، فقال في كتابه : رضي الله عنها **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ** رضي الله عنهم [النجم : ٢] .

وزكاه ربه في لسانه ، فقال في كتابه : رضي الله عنها **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ** رضي الله عنهم [النجم : ٣] .

وزكاه ربه في علمه ، فقال في كتابه : رضي الله عنها **عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ** رضي الله عنهم [النجم : ٥] .

وزكاه ربه في بصره ، فقال في كتابه : ﵂ **مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ** ﵃ [النجم : ١٧] .

وزكاه ربه في فؤاده ، فقال في كتابه : ﵂ **مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ** ﵃ [النجم : ١١] .

وزكاه ربه في صدره ، فقال في كتابه : ﵂ **أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ** ﵃ [الشرح : ١] .

وزكاه ربه في ذكره ، فقال في كتابه : ﵂ **وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ** ﵃ [الشرح : ٤] .

وزكاه ربه في طهره ، فقال في كتابه : ﵂ **وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ** ﵃ [الشرح : ٢] .

وزكاه ربه في رحمته وحلمه ، فقال في كتابه : ﵂ **بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ** ﵃ [التوبة : ١٢٨] .

وزكاه ربه كله ، فقال في كتابه : ﵂ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ** ﵃ [القلم : ٤] .

صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ،

رضي الله عنها ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ رضي الله عنهم ، وبعد :

فقد قال الله ـ تعالى ـ : رضي الله عنها وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ رضي الله عنهم [الإسراء : ١٢] ، وقال الله ـ تعالى ـ : رضي الله عنها هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ رضي الله عنهم [يونس : ٥] ، وقال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ رضي الله عنهم [آل عمران : ١٩٠] .

وغير ذلك من الآيات التي تتحدث عن الليل والنهار والتفكر في ملكوت الله عز وجل ، وقد أنعم الله علينا بفصل الصيف لما فيه من جو معتدل يميل إلى الحرارة بعد برودة فصل الشتاء ، كما أنعم بهذا الفصل على قريش فكانوا

يسافرون فيه إلى الشام للتجارة وغير ذلك ، كما قال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ (١) إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ (٢) فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ (٣) ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ رضي الله عنهم [قريش : ١-٤] ، ولكننا وللأسف نرى ازديادًا في المعاصي في فصل الصيف .

فرأيت أن أقدم هذه الرسالة الموجزة لإخواني المسلمين ، وذلك من باب النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى نقف وقفةً صحيحةً مع هذا الفصل ، وتمسكًا منا بهدي خير البشر محمد ﷺ ، فلقد كان ﷺ يتفاعل مع الآيات الكونية ويوظفها توظيفًا تربويًا رائعًا ، كما روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ : كان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف ذلك في وجهه ، فقالت عائشة : يا رسول الله أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء مطر ، وأراك إذا رأيته عُرفت في وجهك

الكراهية ، قال : « **يا عائشة وما يُؤَمِّنُني أن يكونَ فيه عذابٌ ، قد عُذب قومٌ بالريح وقد رأى قومٌ العذاب فقالوا هذا عارضٌ ممطرنا** » [1] ، وأخذ يومًا بيد عائشة رضي الله عنها وأشار إلى القمر ، وقال : « **يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا ؛ فإن هذا هو الغاسق إذا وقب** » [2] .

فانظر إلى حال رسول الله ﷺ كيف يتفاعل مع ظلمة الليل ، ومن هذا المنطلق نطوف سريعًا حول فصل الصيف في عدة وقفات ، وقد تفضل شيخنا الفاضل د . ياسر برهامي ـ حفظه الله ـ بمراجعة هذه الرسالة وقد أبدى لي بعض الملاحظات والإضافات الهامة ـ فجزاه الله خيرًا ـ وكذلك شيخي المبارك د . سعيد الروبي ـ حفظه الله ـ فجزاهما الله خيرًا عني وعن المسلمين ـ رضي الله عنها **وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** رضي الله عنهم .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أحمد في مسنده ، وصححه الألباني .

الوقفة الأولى :
الصيف والاستقامة

أيها الأخ الكريم ، اعلم أننا في حرب دائمة مع الشيطان الرجيم ، فهو يقف أمام كل من أراد أن يستقيم على صراط الله المستقيم ، وللأسف فإن الكثيرين منا يفرطون في دينهم وينهزمون في حربهم مع الشيطان وترى ذلك واضحًا جليًا في فصل الصيف ، ففي فصل الصيف تنتشر موضات العُرْي والخلاعة ، وتمتلئ دور السينما والمسرح وخصوصًا بالشباب والفتيات طلبة الجامعات ، نظرًا لوجود أوقات فراغ عندهم ، وترى غير هؤلاء من الرجال والنساء نوعًا آخر هربوا من حر البيوت إلى الشواطئ الممتلئة بالعري والاختلاط وربما بفواحش أشد من ذلك ـ والعياذ بالله ـ ، وكأن الصيف أصبح موسمًا للوقوع في المحرمات ـ والعياذ بالله ـ ، ألا يعلم هؤلاء

أننا أمرنا بالاستقامة في كل وقت وحين وفي كل زمان ومكان .

قال ـ تعالى ـ في سورة الفاتحة التي نرددها جميعًا في الصلاة : رضي الله عنها **ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ** رضي الله عنهم [الفاتحة : ٦] ، وقال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** رضي الله عنهم [الأنعام : ١٥٣] .

وقال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** رضي الله عنهم [هود : ١١٢] .

وقال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ** رضي الله عنهم [فصلت : ٣٠] .

وقال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** رضي الله عنهم [الأحقاف : ١٣] .

وقال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ** رضي الله عنهم [العصر : ١-٣] .

وقال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ** رضي الله عنهم [الحجر : ٩٩] .

فانظر وتدبر هذه الآيات التي تحث على دوام الاستقامة على شرع الله ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « استقاموا على شرع الله ولم يروغوا روغان الثعالب » ، فهم على الدوام مستقيمون على صراط الله ونهج رسوله صلى الله عليه وسلم ، فوجب علينا أن نحسن المسير إلى الله عز وجل ، وأن نعلم أن الصراط المستقيم هو سبيل النجاة للمؤمنين .

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي عمرو سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحد غيرك ، قال : « **قل آمنت بالله ثم استقم** » .

فانظر كيف جمع المصطفى ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم ، بين الإيمان بالقلب والاستقامة بالعمل ، فلا إيمان بدون استقامة ، ولا استقامة بدون إيمان ، فالإيمان قول وعمل ، قول باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالجوارح والأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ، فلا بد لنا من وقفة حقيقية مع النفس التي تميل غالبًا إلى السوء ـ والعياذ بالله ـ إلا التي زُكّيت بطاعة الله والانقياد لأمره والخضوع له ـ جل وعلا ـ ، قال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** رضي الله عنهم [الشمس : ٩-١٠] .

وإنك لترى من ظهر عليه أثر الالتزام وسمة أهل الإيمان ومع ذلك ربما يذهب في فصل الصيف إلى أماكن الرذيلة ـ عياذًا بالله ـ فيجلس فيها ، وربما اصطحب معه أولاده ، فيجلس في أماكن المنكرات ، فلا هو يأمر بمعروف وينهى عن منكر ، ولا هو ترك مكان المنكر ، بل وربما نظر إلى المحرمات

وإلى العرايا ووقع في الفتنة وأُشربها قلبه ، وهنا يُنكت في قلبه نُكتة سوداء ـ والعياذ بالله ـ ، أَمَا تدبر هؤلاء هذا الحديث الذي يخلع القلب ويرجف الفؤاد ، أن رسول الله ﷺ قال : « **لأعلمنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تِهامَةَ بِيضًا يجعلُها الله ﷻ هباءً منثورًا** » قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا جلِّهم لنا ألا نكون منهم ونحن لا نعلم ، قال : « **أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ، يأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوامٌ إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها** » [(١)] .

يا رب سلم يا رب ، أين الصيام والقيام بالليل ؟ والصدقات ؟ و مجالس العلم ؟ والأمر بالمعروف ؟ والنهي عن المنكر ؟ وأين أجر الغربة في زمن الغربة ؟ جبال من الحسنات تذهب هباءً منثورًا ؛ لأنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها اللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ،

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب : « ذكر الذنوب » ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه .

وتوفنا وأنت راضٍ عنا يا أرحم الراحمين .

أخي وحبيبي في الله : إن الشيطان يقعد لكل موحد بالله ـ تعالى ـ حتى يوقعه في الشرك ، وإلا ففي البدع أو الكبائر أو الصغائر من الذنوب أو يُزين له التوسع في دائرة المباح ، أو يشغله عن الأهم من الأمور والعبادات ، فهو لا يكل ولا يمل من محاربتك ، وإن انهزم فإنه يعاود ويرجع إلى الحرب مرة أخرى ، وقد حكى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ حال الشيطان ، فقال ـ تعالى ـ : ﴿ **قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِىٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِى لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ** ﴾ [الأعراف : ١٣-١٦] ، وهذا هو الشاهد على أن الشيطان سيقعد لك على الطريق ليضل كل مَنْ أراد الهدى والرشاد ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك حتى نلقاك ، ويشهد لما أسلفنا هذا الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط رسول الله خطًّا بيده ، ثم قال : «

هذا سبيل الله مستقيمًا » ، وخط عن يمينه وشماله ثم قال : « **هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه** » ، ثم قرأ : ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] [(١)] .

وعن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال : « **ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا وعن جانبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتوحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يدعو : يا أيها الناس هلموا ، ادخلوا الصراط المستقيم جميعًا ولا تفرقوا ، وداعٍ يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتح فإنك إن فتحته تَلِجْه ، فالصراط : الإسلام ، والسوران :**

---

(١) رواه أحمد ، والحاكم .

حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط : كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط : واعظ الله في قلب كل مسلم » [1] .

فهيا أيها الأخ الحبيب ، أجب الداعي ، واثبت على صراط الله المستقيم ، واجعل صيفك وشتاءك لله ـ جل وعلا ـ ، واحفظ أمر ربك في كل وقت وحين ، وقد سُئل ابن مسعود ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد ﷺ في أدناه ، وطرفُه في الجنة ، وعن يمينه جواد ، وعن يساره جواد ، وثم رجال يَدْعُون من مر بهم ، فمن أخذ في تلك الجواد انتهى به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ، ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

---

(١) رواه أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » .

فلابد أن تعلم يقينًا أن الشيطان يُكِنُّ لنا العداوة والبغضاء ، ويريد أن يضلنا عن الهدى والرشاد ، فوجب علينا أن نعد له العدة وأن نأخذ بأسباب النصر ، ونظهر له عداوتنا له بتمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

أيها المسلم ، أين عداوتك للشيطان ؟ أين محبتك لأبيك آدم وأمك حواء عليهما السلام ؟ أما قرأت هذه الآيات المباركة وتدبرتها : رضي الله عنها **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ** رضي الله عنهم [الأعراف : ٢٧] ، وقال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ** رضي الله عنهم [الأعراف : ٢٨] .

ألا ترى أيها المسلم أن هناك ترابطًا قويًا وعلاقة واضحة بين الآية الأولى والتي تليها ، ففي الآية الأولى تحذير من الله لعباده ألاّ يقعوا في الفتن التي يُزينها لهم الشيطان ، كما أغرى آدم وحواء قبل ذلك حتى انتهى بهما الأمر أنهما أُخرجا من الجنة وأُهبطا إلى الأرض .

وفي الآية الثانية يبين لنا أن هناك من كفر بسبب تعصبه للآباء ، وهناك من وقع في المحرمات والخطايا بسبب تمسكه بما كان عليه آباؤه ، وكأنه ـ تعالى ـ يقول لنا : أين عداوتكم للشيطان الذي أخرج أبويكم من الجنة ، إذا كان هناك من وقع في المعصية بل وفي الكفر بسبب آبائه فلماذا لا نتمسك نحن بالحق ونعادي الشيطان الرجيم من أجل آبائنا ، لا سيما ونحن على الحق ، فإن كنت توالي هذا الوالد وهذه الأم وقد كشف الشيطان سوآتهما فأين العصبية لأبويك ؟

أخي في الله ، مع مجيء فصل الصيف تشتد معالم الغربة ، وتزداد صور الضياع والانحلال ، فوجب علينا أن نثبت على طاعة الله ، ويجب علينا أن نثبت أمام الفتن التي تموج كموج البحر ، ولا يثبت أمام الفتن إلا صاحب الإيمان الصحيح ، فندعو الله ـ تعالى ـ أن يجدد الإيمان في قلوبنا .

الوقفة الثانية :
الإجازة الصيفية واغتنام الأوقات

لقد أصبح الصيف وقتًا للراحة واللعب واللهو والذهاب إلى شواطئ البحر بحيث يختلط الرجال بالنساء ، والكل يرتدي ملابس البحر ، ويظهرون قريبًا مما ولدتهم أمهاتهم ، مما يجعل الإنسان لا يستطيع النظر لرجل فضلًا عن المرأة .

أيها المسلم : احفظ وقتك عن الضياع ، فلك في الصالحين أسوة وقدوة ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : « والله الذي لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت ، ولا نزلت آية إلا وأنا أعلم فيما نزلت ، ولو أعلم أن أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه » [١] ، فهؤلاء هم سلفنا قدموا أعمارهم خالصة لله عز وجل ، وبذلوها في طلب العلم ،

---

(١) متفق عليه .

انظر إلى العلماء وهم يتتبعون الآيات آية آية ، فقالوا : هذه أُنزلت في مكة ، وهذه أُنزلت في المدينة ، هذه نزلت ليلًا وهذه نزلت نهارًا ، هذه نزلت شتاء وهذه نزلت صيفًا ، ويمثلون لما نزل صيفًا بآية الكلالة التي في آخر سورة النساء ، وكذلك الآيات التي نزلت في غزوة تبوك ، ويمثلون للشتاء بآيات حديث الإفك في سورة النور ؛ ففي الصحيح عن عائشة أنها نزلت في يوم شاتٍ ، وأيضًا الآيات التي في غزوة الخندق من سورة الأحزاب حيث كانت وقت شدة البرد ، وبهذا الاعتناء وغيره تحقق قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩] .

فهيا أخي الحبيب احفظ وقتك من الضياع ؛ فلك في الصالحين أسوة وقدوة .

قال إبراهيم بن أدهم : دخلنا على عابد مريض وهو ينظر إلى رجليه ويبكي ، فقلنا : مالك تبكي ؟ فقال : ما اغبرتا في

سبيل الله . وبكى آخر فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : على يوم ما صمته ، على ليلة ما قمتها . فاحذر أن تكون حياتك لهوًا ولعبًا ؛ فأنت ستسأل عن عمرك فيما أفنيته ، وعن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته ، ولا يَعْرِفُ الحرَّ وقيمتَه إلا من عانى البرد وشدته ، لقد صار صيفنا يحاكي غربتنا ، وهو صورة من ضياعنا ، فإذا دعتك نفسك لتقليد أعمى فتذكر ظهور الكاسيات العاريات ، وظهور الفواحش ، وانتشار الزنى ، وكثرة شرب الخمر ، وظهور المعازف ، وتقارب الزمان ، وبسط الجهل ، ورفع العلم ، وكثرة موت الفجأة ؛ من علامات الساعة وأماراتها . قال الملك ـ جل وعلا ـ : رضي الله عنها **ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ** رضي الله عنهم [الأنبياء : ١] .

فكيف تَسعد النفوس بمعصية الله ؟ وهل هكذا يكون استعدادنا للقاء الله ؟ وكيف يكون صيفك هكذا ؟

فَأَحْسِنِ المسير إلى ربك ، واعلم أن السَنة شجرة ، والشهور فروعها ، والأيام أغصانها ، والساعة أوراقها ، والأنفاس ثمارها ، فمن كانت أنفاسه في طاعة ، فثمرة شجرته طيبة ، ومن كانت في معصية ، فثمرته من حنضل وإنما يكون الجزاء يوم المعاد ، فعند ذلك يتبين حلو الثمار من مرها . واعلم أن إضاعة الوقت أشد من الموت ؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها . واعلم أن أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها وأنفع لها في معادها [1] .

واعلم أن الكل مسافر في هذه الدار إلى ربه ، ومدة سفرك عمرك ، والأيام والليالي مراحل ، فالعاقل لا يزال مهتمًا بقطع المراحل فيما يقربه إلى الله ﷻ ؛ وإذا أردت أن تتعرف على قيمة الوقت فتعال إلى كتاب الله ﷻ ، أَقْسَمَ اللهُ بالوقت في القرآن في

(١) انظر كتاب « الفوائد » لابن القيم رحمه الله .

مواضع متعددة ، قال ـ تعالى ـ : ﵂ **وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ** ﵃ [الليل : ١-٢] ، وقال ـ تعالى ـ : ﵂ **وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ** ﵃ [الضحى : ١-٢] ، وقال ـ تعالى ـ : ﵂ **وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ** ﵃ [الفجر : ١-٢] ، وقال ـ تعالى ـ : ﵂ **وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ** ﵃ [العصر : ١-٢] ، فهذه الآيات تدل على عظمة الوقت وقيمته ، فلا تقلل أنت من شأنه وعظمته ، واغتنمه في طاعة مولاك ، فالوقت نعمة من الله فلابد أن تؤدي شكرها ولا تكفرها ولا تجحدها ، وشكر النعمة ـ كما هو معلوم ـ أن تستخدمها وتوظفها في طاعة المنعم ـ جل وعلا ـ .

وقد قال النبي ﷺ ـ كما روى البخاري ﵀ من حديث عبد الله بن عباس ﵄ ـ : « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ** » [١] .

---

(١) رواه البخاري ، وأحمد ، والترمذي ، وابن ماجه .

وعن أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ؟ وعن علمه فيما فعل ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيما أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه ؟** » وفي رواية : « **وعن شبابه فيما أبلاه ؟** » [1] .

قال الحسن : ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى بلسان الحال : « يا ابن آدم أنا خلقٌ جديد ، على عملك شهيد ، اغتنمني فإني لن أعود إلى يوم القيامة » .

وكان لقمان الحكيم يقول لولده : « أي بُني إنك من يوم أن نزلت على الدنيا استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة ، فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها » .

فيا عبد الله : كم من أوقات ضيعتها أمام المسلسلات والأفلام والفضائيات والمباريات وفي الشوارع والطرقات وعلى المقاهي والكافيتريات ؟ ما الذي تحصله من ذلك إلا الحسرة والندم على ما فات ، وأنا أتعجب من رجل أو امرأة أو

---

(١) رواه الترمذي ، والطبراني ، وصححه الألباني .

شاب أو فتاة يزعم أن عنده وقت فراغ ، وهناك من يبحث عن وسائل يضيع فيها أوقات فراغه .

اعلم أن الذي أدى إلى وجود أوقات فراغ في حياتنا الآتي :

أولاً ـ طول الأمل .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل ؛ فاتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسي الآخرة » .

يقول الشاب : سأصلي إن شاء الله عندما أتزوج ، أو سأترك التدخين مع بداية الحياة الزوجية ، وتقول الفتاة : سأرتدي الحجاب إن شاء الله بعد خطبتي أو بعد الزفاف ، وهكذا سوف ، سوف ، سوف ، قال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** رضي الله عنهم [الحجر : ٣] ، من الذي أوحى إليك أنك ستعيش للغد ، من الذي سول لك

أنك ستحيا إلى الوقت الذي تريد ، فالإنسان منا يتمنى ويخطط وعنده أمل ، ولكن الموت يأتي بغتةً فإياك وطول الأمل .

ثانيًا ـ اتباع الهوى .

قال أحد السلف : احذر من الناس صنفين ، صاحب هوى قد فتنه هواه ، وصاحب دنيا قد أعمته دنياه ، الهوى كان سببًا أنك تسمع الآن من يقول : إن الحجاب ليس من أركان الإسلام وليس بواجب وهو عادة كانت في الماضي ، بل يقولون : هو رجعية وتخلف وظلم للمرأة ، وكذلك الهوى هو السبب في كثير من المعاصي والكبائر ـ والعياذ بالله ـ ، لذلك حذرنا الله من الهوى قال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا** رضي الله عنهم [الكهف : ٢٨]

وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ** ﴾ [ص : ٢٦] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

فاحذر يا عبد الله من طول الأمل واتباع الهوى ، وجاهد نفسك في اغتنام عمرك في طاعة الله .

فلقد قال ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما : **« اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك »** [1] .

---

(١) رواه السيوطي والحاكم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

نظر عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما إلى المقبرة يومًا ثم نزل فصلى ركعتين ، فسُئل ، هذا شيء لم تكن تصنعه ، قال : ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه ، فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما . فانظر إلى اغتنام الحياة قبل الموت ، هكذا كان حال السلف رحمهم الله .

واعلم أن الفراغ ينقسم إلى ثلاثة أنواع :

أ ـ فراغ القلب :

وهو أن يكون فارغًا من الإيمان ، وصاحب هذا القلب ألعوبة في يد الشيطان فهو يسبح في بحور الشهوات ويطير في الهواء النتن عبر الفضائيات وأماكن الرذيلة ـ والعياذ بالله ـ .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « اطلب قلبك في ثلاثة مواطن : عند تلاوة القرآن ، وفي مجالس الذكر ، وعند الخلوة ، فإن لم تجد قلبك في هذه المواطن فاسأل الله أن يمن عليك بقلب ؛ فإنه لا قلب لك » .

هل يرق قلبك عند سماع القرآن وتتأثر بكلام الله ؟ وهل يطمئن قلبك وتشعر بالسكينة والرحمة في مجالس العلم ؟ هل تدمع عينك عند الخلوة وأنت جالس وحدك ؟ أم ترخي الستور وتغلق الأبواب وتبارز الله بالمعصية ؟ اعلم أن الله يراك وهو معك بسمعه وبصره في كل مكان ، أما تدبرت قوله ـ تعالى ـ عندما قال لنبيَّيْنِ كريمين : ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٣-٤٦] ، أما تدبرت قصة المرأة المجادِلة التي جاءت إلى رسول الله ﷺ تشتكي زوجها ، تقول عائشة رضي الله عنها وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فنزل قوله ـ تعالى ـ من فوق سبع سماوات : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة : ١] ، وهي خوله بنت ثعلبه رضي الله عنها التي استمع إليها أمير المؤمنين عمر وهو يمر

في الطريق والناس معه فاستوقفته امرأة فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها حتى قضت حاجتها وانصرفت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز ؟ قال : ويحك ، وتدري من هذه ؟ قال : لا . قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خوله بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها [1] ، فسبحان من وسع سمعه الأصوات ، فاستشعر أن الله يسمعك ويراك ففراغ القلب فراغ خطير ، اللهم املأ قلوبنا بالإيمان الصادق يا رب العالمين .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ، سورة المجادلة .

ب ـ فراغ العقل :

وهو أن يتوقف العقل عن التفكير في ملكوت الله وآياته ، قال الله عن الكافرين : رضي الله عنها **وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ** رضي الله عنهم [الملك : ١٠] ، انظر إلى العقل العربي الفارغ في الجاهلية الأولى ، كان الرجل يقتل ابنته ، قال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ** رضي الله عنهم [التكوير : ٨-٩] ، بل كان أحدهم يصنع إلهًا من التمر ليعبده فإذا أصبح أكل ما صنعه بالأمس ، بل كانوا يعبدون الحجارة والأصنام من دون الله الواحد القهار .

وانظر إلى العقل العربي الفارغ في الجاهلية المعاصرة [١] ، يتجرأ على القرآن ويقدم عقله على القرآن الكريم ، مثل من

---

(١) لا أقصد رمي المجتمع بالجاهلية على الإطلاق ، ولكن الجاهلية في بعض الأمور كما قال تعالى : رضي الله عنها **أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** رضي الله عنهم [المائدة : ٥٠] ، كما قال ﷺ لأبي ذر : « **إنك أمرؤ فيك جاهلية** » متفق عليه أي خصلة من خصالها وصفة من صفاتها ، وفي صحيح مسلم : « **أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة** » .

يطالب بعدم تحريم لحم الخنزير ؛ لأنه يُربى تحت رعاية طبية عالية وكان عندما حرمه الله هزيلًا مريضًا ، أو من يطالب بتوحيد المواريث بين الذكر والأنثى ، ومن يقول : إن الحجاب ليس بفرض ، أو كالتي قالت : الطواف حول الكعبة وتقبيل الحجر الأسود من عادات الوثنية .. وهكذا .

فدل ذلك على فراغ العقل ـ والعياذ بالله ـ ، فلابد للعقل أن يتدبر القرآن الكريم ، حتى لا يصاب بهذا الفراغ الخطير .

تدبر يا أخي هذا الحديث الذي ذكره ابن كثير في تفسيره ورواه ابن حبان في صحيحه وذكره المنذري في الترغيب عن عطاء قال : دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعبيد بن عمير على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في خدرها فسلمنا عليها وبيننا وبينها حجاب ، فقالت : يا عمير ما يمنعك من زيارتنا ، قال : قول الشاعر : « زُرْ غِبًّا تزددْ حُبًّا » ، فقال ابن عمر : ذرينا أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله ﷺ ؟! فبكت وقالت : كل أمره كان عجبًا ، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال :

« **ذريني أتعبد لربي ﷻ** » ، قالت ، فقلت : والله إني لأحب قربك ، وإني أحب أن تعبد ربك ، فقام إلى القِربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلي فبكى حتى بلّ لحيته ، ثم سجد فبكى حتى بلّ الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، قالت : فقال : يا رسول الله ، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « **ويحك يا بلالُ ، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليَّ في هذه الليلة : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها** » .

فانظر إلى حال رسول الله ﷺ كيف كان يشتاق إلى التدبر وإلى القيام بالليل ؟ حتى أنه كان يصلي في ليلة فقرأ قوله ـ تعالى ـ : ﵂ **إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ** ﵃ [المائدة : ١١٨] ، فمازال يرددها طوال الليل حتى انتهى من القيام ﷺ (١) .

فلابد أن نستخدم العقل في التفكير والتدبر والعبادة ، انظر إلى العقل الأمريكي الفارغ ، مازال إلى الآن يدافع عن زواج الرجل بالرجل ، وانظر إلى العقل الهندي الفارغ ، مازال إلى اليوم يدافع عن عبادة البقر ، ويقول زعيم الهند أن أمه البقرة أفضل عنده من أمه التي ولدته ، لأن أمه حملت فيه تسعة أشهر وأرضعته حولين وهي تريد بذلك الشكر والطاعة طوال الحياة ، أما أمه البقرة فلا تطلب منه شيئًا وتعطيه لبن كل يوم وبدون مقابل .

---

(١) رواه النسائي ، وابن ماجه ، وحسنه الألباني .

لماذا رفض هؤلاء تكريم الله لهم بالعقل ؟ قال ـ تعالى ـ :
رضي الله عنها وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً رضي الله عنهم [الإسراء : ٧٠] .

والعقل السليم يدل على وجود الله ، فإذا نظرت إلى هذا الكون العظيم من حولك وجدته يسير على نظام محكم دقيق ، فالشمس والقمر يسيران منذ ملايين السنين وفق هذا النظام ، فلا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه ، ولا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه أيضًا ، وهما يتعاقبان بحساب معلوم ، قال تعالى :
رضي الله عنها لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ رضي الله عنهم [يس : ٤٠] .

جـ ـ فراغ النفس :

اعلم أن النفس إن لم تشغلها بالحق والطاعة شغلتك بالباطل والمعصية ، كالطفل الذي فطمته عن ثدي أمه انفطم ، يبكي أيامًا ، لكن سيعتاد بعد ذلك على الفطام ، كذلك النفس

إن عودتها على الطاعة ، والقرآن ، والصيام ، والقيام ، والنفقة ، ومجالس العلم ، وصلاة الجماعة ، والعطاء ، والدعوة ، اعتادت ، قال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا** رضي الله عنهم [الشمس : ٧] ، وقال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ** رضي الله عنهم [النازعات : ٤٠-٤١] ، فجاهد نفسك حتى لا تصاب بفراغ النفس القاتل ، ـ والعياذ بالله ـ .

فإياك وفراغ القلب ، وفراغ العقل ، وفراغ النفس .

فهل بعد ذلك مازلت مُصّرًا على وجود أوقات فراغ في حياتك ؟ كان أحد السلف يأتي بولده ويعطيه الكتاب ليقرأ عليه وقت قضاء الحاجة ودخول الخلاء ، لماذا ؟ لعدم وجود وقت عنده ، هو لا يقضي وقته إلا في العلم والتعلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **بادروا بالأعمال سبعًا ، هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا ، أو غنى مطغيًا ، أو مرضًا مفسدًا ، أو هرمًا مفندًا ، أو موتًا مُجهِزًا ، أو الدجال فشرٌّ غائبٍ ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر** »(١) .

فمن الحزم أن يبادر الإنسان بالأعمال الصالحة ، وفي الحديث إشارة نبوية إلى المبادرة ، فنحن نحتاج إلى مبادرة جديدة مع أنفسنا حتى نعيش حياة العبودية الخالصة لله عز وجل ، فلابد لنا من المجاهدة والمصابرة والمراقبة والتوبة والمعاتبة ، وأن نعلم أن نظر الله أسبق إلينا من نظرنا إلى الحرام أو سيرنا في الحرام ، وأنا أسأل كيف لعاقل يرضى لنفسه أن يمكث في قبره ما شاء الله من السنين ثم يقضي بعد ذلك في الحساب خمسين ألف سنة ، كل ذلك في عذاب ، مقابل أن يعيش متمتعًا بالشهوات والملذات لحظات معدودة في حياته ، فلابد لنا من

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن . وضعفه الألباني ويشهد لمعناه حديث : « **اغتنم خمسًا قبل خمس** » وقد سبق ذكره .

وقفة جادة وتغيير خط سيرنا في الحياة وأن نقضي أعمارنا في العبودية الخالصة لله ﷻ كما كان سلفنا الصالح ﵃ أجمعين.

وأختم بقول ابن القيم ﵀ في كلام بديع: «فاغتنم يرحمُك الله حياتك النفيسة واحتفظ بأوقاتك الغزيرة، واعلم أنَّ مدة حياتك محدودة وأنفاسك معدودة، فكل نَفَس ينقصُ به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عَدْلَ لها ولا خلفَ منها، فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم أو العذاب الأليم.

وإذا عدلت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نفس يعادلُ أكثر من ألفِ ألفِ عام في النعيم، وما كان هكذا فلا قيمة له، فلا تضيِّع جواهر عُمُرك النفيسة بغير طاعة أو قربة تتقرب بها؛ فإنك لو كان معك جوهرةٌ من جواهر الدنيا

لساءك ذهابُها، فكيف تفرِّط في ساعاتك وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض». اهـ.

ويقول في موضع آخر من كتاب «الفوائد»: «واعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، وقال ﷻ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج:٣٧]، وقال ﷺ: «**التَّقْوَى هَاهُنَا**» وأشار إلى صدره[1].

(١) رواه مسلم.

الوقفة الثالثة :

اللهو والتوسع في المباح

بعد انتهاء العام الدراسي وبعد الشعور بالإرهاق من الآباء والأبناء معًا ، يريد الآباء أن يفرِّجوا عن الأبناء ، وكذلك يريد الأبناء أن ينطلقوا بعد التقييد الذي عاشوا فيه في فترة الدراسة ، فيحرص الجميع على اللهو والفُسَح ، والخروج المستمر والرحلات إلى هنا وهناك والذهاب إلى شواطيء البحار عبر الرحلات الأسبوعية ، وربما الخروج يوميًا في آخر النهار كما يفعل البعض ، وكل ذلك يتم بدون الانضباط بالضوابط الشرعية ، مما يؤدي إلى الوقوع في المحرمات والعياذ بالله ، فما أكثر المنكرات في هذه الأماكن ، فهذا يسب وهذا يلعن ، بل ورغم أنفك ستسمع الأغاني الماجنة والألفاظ المنكرة ، وكيف ستغض بصرك في هذه الأماكن ، وغالب الناس فيها يَظهرون قريبًا مما ولدتهم أمهاتهم ، فلا تستطيع أن

تنظر إلى رجل فضلًا عن امرأة ، ترى في هذه الأماكن العُري والخلاعة والفسق ، ومعك أهلك وأولادك ينظرون ويسمعون ، كيف تحافظ على دينك في مثل هذا الواقع المؤلم المرير ؟! فيصعب جدًا في هذه الأماكن الانضباط بالضوابط الشرعية ، ولا أبالغ إن قلت : مستحيل في ظل هذا الواقع ، فلابد أن نجعل بيننا وبين الحرام سترة من الحلال حتى لا نقع في الحرام ، بل عدم الذهاب إلى هذه الأماكن والمحافظة على غض البصر يقوي الإيمان في القلب ، جاء في الأثر : « **إن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافة الله أبدله الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه** » [1] ، وفي الأثر أيضًا : « ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه » [2] ، واعلم أن العين تزني وزناها النظر ، كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ في الحديث حيث قال :

---

(١) رواه الطبراني ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٢) رواه الطبراني ، وأحمد .

« ... فالعين زناها النظر ، واليد زناها اللمس ... » [1] ، لذلك أمر الله بغض البصر في القرآن وبين أنه أزكى للنفس وأطهر للقلب وأنقى للدين ، قال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ** ﴾ [النور : ٣٠] ، وقد قيل : إن من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته ، وقيل : في قلبه ، لذلك نقول : إن غض البصر راحة للقلب وصيانة للعرض ، فالنظرة المحرمة اتصفت بثلاث صفات : أنها سهم ، وأنها مسمومة ، وأنها من إبليس عليه لعنة الله ، قال ابن القيم رحمه الله : « إن القلب الذي يعيش تحت خطر النظر المحرم يعيش كالطير المشوي على النار » ، وقد ذكر رحمه الله في كتابه « الجواب الكافي » اثنتا عشرة فائدة لغض البصر ، وهي [2] :

---

(١) رواه أحمد ، وابن ماجه ، وصححه الألباني .

(٢) ومن أراد المزيد فليراجع الكتاب .

١ – أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد .

٢ – أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم إلى القلب .

٣– أنه يورث القلب أنسًا بالله .

٤ – أنه يقوي القلب ويفرحه .

٥ – أنه يكسب القلب نورًا .

٦ – أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل .

٧– يورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة .

٨– أنه يسد على الشيطان مدخله .

٩ – أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه .

١٠ – إذا فسد النظر فسد القلب لأن بينهما طريقًا .

١١ – أنه يورث بصيرة صحيحة .

١٢ – أنه يعطي قوة عزم وصبر .

فإطلاق البصر يسبب للإنسان الآهات والحسرات والأمراض ثم الندامة يوم القيامة ، أما غض البصر فيحميك

ويمنعك من رؤية النار يوم القيامة ، فعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ثلاثة لا ترى أعينهم النار ، عين باتت تحرس في سبيل الله ، وعين بكت من خشيت الله ، وعين كفت** ـ وفي رواية : غضت ـ **عن محارم الله** »[1] .

كل الحوادث مبداها من النظرِ

ومعظم النار من مستصغرَ الشررِ

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها

فعل السهام بلا قوس ولا وترِ

يسر ناظره ما ضر خاطره

لا مرحبًا بسرورٍ عاد بالخطرِ

فلا حرج من التمتع بالمباحات والتلذذ بالطيبات ولكن كف نفسك عن المحرمات ، واغتنم فرصة الصيف في تعلم

---

(١) رواه الطبراني ، وابن عساكر ، وقال العلامة الألباني رحمه الله بعد أن جمع طرق هذا الحديث في السلسلة الصحيحة : « وبالجملة فالحديث بهذه الطرق صحيح على= =الراجح والله أعلم » .

العلم الذي لا يسع المسلم جهله كالتوحيد والفرائض والأمور التي تصلح القلب كالإخلاص والشكر والصبر وغير ذلك ، وليس كما نرى في فصل الصيف أن تستحوذ مباريات كرة القدم بمشاهدة أعداد غفيرة ، الأمر الذي لا تجد مثله في الصلاة ، وفي بعض الأحيان في بعض الأماكن لا تجد وجهًا للمقارنة بين العبث واللعب وبين من يدخل المساجد ، بين من يغني ويرقص وبين من يحفظ القرآن ويتفقه في دين الله ﷻ ، ولكن نقول : لو تم ما ذكرنا من المباح بالضوابط الشرعية فلا ينبغي أن تتوسع فيه ، لأن رسول الله ﷺ كان يكره كثيرًا من الإرفاه « أي الرفاهية » حتى لا نتعود على الرفاهية ؛ ففي حديث عبد الله بن بريدة أنه قال : إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه [1] ، قيل لأحد السلف : هل يجوز أن أوسع لنفسي في المباح ؟ قال : عند نفسك من الغفلة ما يكفيها .

---

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

والمباح : هو الذي لا حرج على فاعله ، فليس من المكروهات ولا من المحرمات ، ولكن الآفة في التوسع والاستكثار ، فليكن تناول المباحات بقدر ، والتوسع في المباحات خطر على الإيمان ، ويفوت الأرباح العالية في الجنة ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ** ﴾ [التكاثر : ٨] ، فأكل الطيبات من المباح يختلف عن ملء البطن من الطيبات ، وقد بوب العلماء على ذلك أبوابًا في كتبهم كما عند الترمذي باب « ما جاء في كراهية كثرة الأكل » ، وعند ابن ماجه باب « الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع » ، أن رسول الله ﷺ قال : « **ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه** » [1] وكذلك العمل الدنيوي وجمع المال من الحلال مباح ، بل وربما يرتقي إلى مرتبة الواجب ؛ إذا أراد بذلك كف نفسه عن الحرام ورعاية من يعول ، ولكن التوسع

---

(١) أخرجه الترمذي وقال صحيح ورواه ابن ماجه أيضًا .

في ذلك ربما يؤثر على القلب ، وينشغل القلب بالدنيا ، وتصبح الدنيا وما فيها في القلب وليس في الأيدي ، وقد قال ﷺ : « **تعس عبد الدرهم ، وعبد الدينار ، وعبد الخميصة ، إن أُعطي رضي وإن لم يعط سخط** » [1] ، قال ـ تعالى ـ : ﵂ **إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ** ﵃ [يونس : ٧] ، والإنسان ربما بسبب التوسع في المباح يقع في المكروه أو الحرام ، فيزين له الشيطان ويقول له : افعل ولا حرج هذا مباح ، حتى يصل إلى حال الطغيان والعياذ بالله قال ـ تعالى ـ : ﵂ **كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ** ﵃ [طه : ٨١] ، فأمر الله بالأكل ونهى عن الطغيان فيه ، والطغيان هو مجاوزة الحد ، فاحذر أخي من التوسع في المباحات والانشغال بها عن معالي الأمور ، واعلم أننا في هذه الدنيا ليس لنا إلا غاية واحدة وهي العبودية

---

(١) رواه البخاري .

الخالصة لله عز وجل ، أما ما نراه الآن من فجور على شواطيء البحار فهذا من المعاصي وعلامات الانحلال ـ والعياذ بالله ـ ، ونحن لا نحرم الجلوس على شواطئ البحار ولكن كما ذكرنا آنفًا ، أين الضوابط الشرعية ؟! فنحن ندور مع الشرع حيث دار ، جاء في الأثر أنه ما من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله ـ تعالى ـ أن ينضح عليكم فيكفه الله [1] ، فانظر إلى رحمة الله ـ تعالى ـ بعباده فلو أمر الله البحر لأغرقنا ، وكما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ** ﴾ [يونس : ٤٤] .

فيا أخي الحبيب ويا أختي في الله إياكم والتوسع في المباح ، إياكم و«ساعة وساعة» كما يفهمها الجهال وأصحاب القلوب المريضة المنكوسة التي أُشربت الفتن ـ والعياذ بالله ـ ، فهناك من يقول : ساعة لربك وساعة لقلبك ، وذلك باطل ، لأنه تحريف لمعاني أحاديث النبي ﷺ .

---

(١) أخرجه السيوطي وضعفه الألباني في ضعيف الجامع .

فها هو الحديث كما جاء في صحيح مسلم ، عن حنظلة رضي الله عنه قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال : قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ، ما تقول ؟! قال : قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيرًا . قال أبو بكر : إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « **ما ذاك ؟** » ، قلت : يا رسول الله ، تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وطرقكم ، ولكن يا حنظلة : ساعة وساعة [ثلاث مرت]** » ، وفي رواية : قال حنظلة : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكر النار ، قال : ثم جئت البيت فضاحكت الصبيان ،

ولاعبت المرأة ، فلقيت أبا بكر ، فذكرت ذلك له ، فقال : وأنا قد فعلت مثل ما تذكر ، فلقينا رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، نافق حنظلة ، فقال : « **ما ذاك؟** » ، فحدثته بالحديث ، فقال أبو بكر : وأنا قد فعلت مثل ما فعل ، فقال : « **يا حنظلة ، ساعة وساعة ، ولو كانت قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق** »[1] ، فهذا ما كان من أمر حنظلة رضي الله عنه ؛ خشي على نفسه من انشغاله بالأمور الدنيوية مثل الزوجة والأولاد والعمل وأحوال المعايش وغير ذلك ، وكل ذلك مباح ، وربما من الواجبات ، ولكن الذي جعل حنظلة يخاف هو تغير الحال ، فلا شك أن القلب يحضر ويتأثر ويشعر بالحياة أثناء طاعة الله عز وجل ، وعند تلاوة القرآن ، وفي مجالس العلم ، وهذا الشعور ينقص في مواضع أخرى ، فإن الحياة الحقيقية هي حياة القلب ،

---

(١) رواه مسلم باب « فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة » .

فالذاكر لله قلبه حي ، يتلذذ بالذكر ، وأما الغافل عن ذكر الله فهو كالميت ، كما في الحديث : « **مثل الذي يذكر ربه ، والذي لا يذكر ربه ؛ كمثل الحي والميت** »[1] ، فالذاكر لله حي ولو شُلت فيه الأعضاء ، والغافل عن ذكر الله ميت ، ولو تحرك ، ومشى بين الأحياء ، فالشاهد أن الإنسان لا يقع في المحرمات والعصيان بحجة « ساعة وساعة » ، بل ساعات في الطاعة والعبادة ، ولا بأس بساعات أخرى في قضاء حوائج من يعولهم من والدين وأبناء وغير ذلك ، فإياك والتوسع في المباحات في فصل الصيف والإكثار من الذهاب إلى المتنزهات ومدن الملاهي ، فنحن بحاجة إلى تقنين وترشيد أوقات الانشغال بالمباح ، والله المستعان .

---

(١) متفق عليه .

الوقفة الرابعة :

حر الصيف

إننا جميعًا نشعر بحر الصيف وحرارته ، وخصوصًا الذين يعيشون في بعض دول الخليج ودول جنوب إفريقيا ، ومنا من يستخدم التكييف فرارًا من الحرارة ، حتى أصبح البعض لا يستغني عن جهاز التكييف لا في البيت ولا في العمل ولا في السيارة ؛ لأنه لا يقدر أن يمارس حياته الطبيعية في ظل هذا الحر ، هذا الحر ألا يذكرنا بحر يوم القيامة وشدته ؟! ألا يذكرنا بعرق يوم القيامة وكثرته ؟! ألا يذكرنا بعطش يوم القيامة ؟!! قال أحد السلف : ما رأى العارفون شيئًا من الدنيا إلا تذكروا ما وعد الله به من جنسه في الآخرة من كل خير وعافية :

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون

جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁ ، أن رسول الله ﷺ قال : « **اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب أكل بعضي بعضًا ، فأَذِن لها بنَفَسين ، نَفَس في الشتاء ، ونَفَس في الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر من سموم جهنم ، وأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم** » ، فالبرد في فصل الشتاء يذكرنا بزمهرير جهنم ، والحر في فصل الصيف يذكرنا بحر جهنم وسمومها .

إن السلف كانت لهم وقفات تربوية مع حر فصل الصيف ، فهذا أبو هريرة ﵁ يقول : « نعم البيت الحمام يدخله المؤمن فيزيل به الدرن ، ويستعيذ بالله من النار » ، والحمام هو مكان الاغتسال وليس مكان قضاء الحاجة .

ودخل ابن وهب الحمام ، فسمع تاليًا يتلو قوله ـ تعالى ـ :
﵂ **وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ** ﵃ [غافر : ٤٧] ، فغشى عليه ، وكان أحد السلف إذا أصابه كَرْبُ الحَمَّام يقول : « يا بر يا رحيم منّ علينا وقنا عذاب السموم » . فانظر وتدبر النار وحرها يوم القيامة ، فربما يكون ذلك باعثًا لك على علو همتك ، وعدم التفريط في طاعة الله ﷻ ، فأنت لا تستطيع الآن في فصل الصيف أن تنام ، والبعض يشتكي أنه ما استطاع النوم هذه الليلة من شدة الحر ، فكيف بمن سيكون طعامه نارًا ، وشرابه نارًا ، ولباسه نارًا ، وهو يعيش في نار ـ والعياذ بالله ـ .

صب بعض الصالحين على رأسه ماء من الحمام فوجده شديد الحر ، فبكى وقال : ذكرت قوله ـ تعالى ـ : ﵂ **يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ** ﵃ [الحج : ١٩] ، وهذا عبد الله بن عمر وغيره من السلف : إذا شربوا ماءً باردًا بكوا ، وذكروا

أمنية أهل النار وهم يشتهون الماء من شدة حرها وقد منع عنهم ، ﵂ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﵃ [الأعراف : ٥٠] ، فنحن لا نصبر ساعات قليلة على حر الدنيا الذي لا يُقارَن بِحَرِّ الآخرة ، والبعض منا يجعل بجواره ماءً مثلجًا ليشرب منه طوال الصيف ، هل تخيلت يومًا أن الماء الذي تشربه ويرويك قد تحول إلى ماء ساخن قليلًا تصل حرارته إلى ٥٠ درجة تقريبًا فقط ، هل سيرويك ؟ هل تستطيع أن تشربه ليروي ظمأك ؟ فما بالك بماء هو عصارة أهل النار يوم القيامة ، ولذلك كان عمر بن الخطاب ﵁ يقول : « أكثروا من ذكر النار ، فإن حرها شديد ، وقعرها بعيد ، وإن مقامعها حديد » . هل تذكرت الشمس وهي تدنو من رؤوسنا يوم القيامة ، ويشتد الكرب على الخلائق حتى إن بعض الناس يقولون : يا رب أرحنا من هذا الموقف ولو إلى النار ، من شدة التعب والنصب والإرهاق ، ومن شدة الحر

واليوم الطويل ، والكل يقول : نفسي ، نفسي ، والكل عرايا كما ولدتهم أمهاتهم ، ويزيد العرق حتى يروي الأرض ، ثم يرتفع فوقها ، ويأخذهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى صدره ، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا .

أخي في الله وأختي في الله ويا أمي ويا والدي الفاضل ويا جميع المسلمين : هيا بنا نذهب الآن إلى مشهد العرق يوم النشور ، ولنتخيل جميعًا هذا المشهد كأننا نراه ، اقرأ هذه الأحاديث الآن ، وتدبرها بقلبك ، وتخيل نفسك في هذا الموقف المهيب :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب في الأرض عرقهم سبعين ذراعًا وأنه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم** »[1] .

٢- وعن المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(١) متفق عليه .

« **تدنو الشمس من الخلق حتى تكون مقدار ميل** » قال سليم ابن عامر : والله ما أدري ما يعني بالميل ، مسافة الأرض أو الميل التي تكحل به العين « **قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا** » وأشار الرسول ﷺ بيده إلى فيه [(١)] .

٣- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « الأرض كلها نار يوم القيامة ، والجنة من ورائها كواعبها وأكوابها ، والذي نفس عبد الله بيده إن الرجل ليفيض عرقًا حتى يسيح في الأرض قامته ، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه ، وما مسه الحساب ، قالوا : مم ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرى الناس يلقون [(٢)] .

٤- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول : يا رب**

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الطبراني موقوفًا بإسناد جيد ، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

أرحني ، ولو إلى النار » [1] .

٥- عن عبد العزيز العطار عن أنس رضي الله عنه : لا أعلمه إلا رفعه قال : « لم يلق ابن آدم شيئًا منذ خلقه الله عز وجل أشد عليه من الموت ، ثم إن الموت أهون مما بعده ، وإنهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدةً حتى يلجمهم العرق حتى إن السفن لو أجريت فيه لجرت » [2] .

اللهم سلم يا رب ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا يا مولانا فإنك علينا قادر ، هل تدبرت هذه المرويات وهي تجسد لنا صورة واضحة لهذا اليوم ؟! فلا بد أن نأخذ من حر الصيف وعرقنا فيه العبرة والعظة .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد ، وأبو يعلي ، وابن حبان إلا أنهما قالا : « **إن الكافر** » . ورواه البزار ، والحاكم .

(٢) رواه أحمد مرفوعًا باختصار ، والطبراني في الأوسط على الشك هكذا ، واللفظ له ، وإسنادهما جيد .

مر إبراهيم بن آدهم بشواء « لحم مشوي » فأغمى عليه ، ولما أتى بماء بارد في يوم شديد الحر بكى وقال : تذكرت قول أهل النار : ﴿ **وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ** ﴾ [الأعراف : ٥٠] .

أين نحن من هؤلاء السلف ؟! نحن في واد ، وهم كانوا في وادٍ آخر .

جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءًا من حر جهنم** » ، قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله ، قال : « **فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلها مثل حرها** »[١] ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة ؛ فإن شدة الحر من فيح جهنم** » ، وفي رواية :

(١) متفق عليه .

« **أبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم** »[1] ، اللهم أجرنا من النار ، ومن حر يوم الحشر يا رب العالمين .

فينبغي لمن لا يصبر على حر الشمس في الدنيا أن يتجنب من الأعمال ما يستوجب صاحبه به دخول النار ؛ فإنه لا قوة لأحد عليها .

ذكر قتادة شراب أهل جهنم وهو ماء يسيل من صديدهم من الجلد واللحم ، فقال : هل لكم بهذا يدان ؟! أم لكم عليه صبر ؟ طاعة الله أهون عليكم ، يا قوم أطيعوا الله ورسوله .

فهذه الأخبار والأحاديث والآثار التي سقناها تذكرنا بالآخرة وبحرِّها ، ففي مثل هذه الأيام من فصل الصيف تذكر الآخرة ونارها .

---

(١) رواه البخاري ، ومسلم ، والنسائي ، وأحمد ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والبيهقي ، والإبراد : تأخير الصلاة حتى تقل شدة الحر .

وكذلك القرآن الكريم من تدبره وجد فيه مثل ذلك ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ، وقد رأينا ذلك واضحًا في أندونسيا في طوفان تاسونامي ، هذه القرى السياحية التي كثرت فيها الرذيلة ، وانتشر فيها الزنى والفجور والخلاعة على شواطئ البحار ، والله رأينا المياه تخرج من البحر تحمل الحمم النارية ، والناس أصبحوا كالفحم الأسود ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١٣] ، وقد روي أن الصواعق قطعة من نار ـ والعياذ بالله ـ ، و«الإعصار» : الرياح الشديدة العاصف التي فيها نار ، وقد عذب الله قوم شعيب بالظلة ، وروي أنه أصابهم حرٌ فأخذ أنفاسهم فخرجوا من البيوت إلى الصحراء ، فأظلتهم سحابة ، فوجدوا لها بردًا ، فاجتمعوا تحتها كلهم ،

فأمطرت عليهم نارًا فأحرقوا كلهم ، فكل هذه العقوبات بسبب المعاصي ـ والعياذ بالله ـ ، قال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ** رضي الله عنهم [الواقعة : ٧٣] ، يعني أن النار جعلها الله تذكرة تذكر بنار جهنم ، مر ابن مسعود بالحدادين وقد أخرجوا حديدًا من النار ، فوقف ينظر إليه ويبكي ، وكذلك روي ذلك عن أويس ، والربيع بن خثيم ، وقال بعض السلف : لو أخرج أهل النار منها إلى نار الدنيا لقالوا ـ أي : ناموا فيها [١] ـ فتدبر ، والله المستعان .

---

(١) من القيلولة ، لا من القول .

الوقفة الخامسة :

العبادة في فصل الصيف

اعلم أن حر الصيف لم يمنع الأفاضل من السلف من الاجتهاد في العبادة ، ومن الجهاد في سبيل الله عز وجل ، لقد خرج الصحابة رضي الله عنهم في غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة ، وكان ذلك بالصيف في وقت شديد الحر ، ولما تكاسل البعض في البداية وتثاقل الأمر ، نزلت الآيات تلهب النفوس العامرة بالإيمان ، وتحرض أصحاب الإيمان على البذل والعطاء والخروج إلى ميدان الكرامة ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة : ٣٨-٣٩] ، ورجع أبو خيثمة إلى

داره ، بعدما انطلق النبي ﷺ هو وأصحابه رضي الله عنهم لقتال الروم ، فوجد زوجتيه كل واحدة منهما قد أعدت له ظلًّا ظليلًا وماءً باردًا ، فقال : أنا في ظل ظليل ، وماءٍ باردٍ ، وامرأة حسناء ، ورسول الله ﷺ في الحر ، فأمر نساءه بإعداد الزاد والراحلة ، وانطلق يعدو ، فرأى الرسول ﷺ غبارًا فقال : « **كن أبا خيثمة** » ، فكان هو أبا خيثمة رضي الله عنه ، فانظر إلى أبي خثيمة وإلى حاله وهمته ، كيف ترك كل ذلك وذهب إلى ميدان الجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ ، وقد نزلت الآيات في هذه الظروف تعيب على المنافقين الذين قالوا : ﴿ **لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ** ﴾ [التوبة : ٨١] .

وأنت أيها الأخ الحبيب إذا تأملت في سورة التوبة ، ترى أن غالبها يتحدث عن غزوة تبوك ، وما كان من أمر المؤمنين الخلص الذين تركوا كل شيء ، وخرجوا مع رسول الله ﷺ ، ثم آيات أخرى تتحدث عن المؤمنين الذين تخلفوا عن الخروج

وليس عندهم أعذار شرعية ، وعن المؤمنين الذين تخلفوا وعندهم أعذار شرعية ، وعن المنافقين ودورهم الخبيث ، وخطورة النفاق وأهله على المجتمع المسلم ، فاقرأ تفسير هذه السورة وسترى فيها فوائد عظيمة ، ومخاطبة للقلوب ، فاصبر على العبادة في حر الشمس ؛ كالسير إلى المساجد والجماعات وشهود الجنائز وعيادة المرضى ونحو ذلك .

خرج رجل من السلف إلى الجمعة فوجد الناس قد سبقوه إلى الظل ، فقعد في الشمس ، فناداه رجل من الظل أن يدخل إليه ، فأبى أن يتخطى رقاب الناس لذلك ، ثم تلا : رضي الله عنها **وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ** رضي الله عنهم [لقمان : ١٧] ، ومما يضاعف ثوابه في شدة الحر من الطاعات : الصيام ، لما فيه من ظمأ الهواجر ، ولهذا كان معاذ بن جبل يتأسف عند موته على ما فاته من ظمأ الهواجر ، ولما صبر الصائمون لله في الحر على شدة العطش والظمأ ؛ أفرد لهم بابًا من أبواب الجنة ،

وهو باب الريان من دخل شرب ، ومن شرب لم يظمأ بعدها أبدًا ، فإذا دخلوا أغلق على من بعدهم فلا يدخل منه غيرهم .

وهكذا كان حال السلف دائمًا ، كان بعضهم إذا رجع من الجمعة من حر الظهيرة يذكر انصراف الناس من موقف الحساب إلى الجنة أو إلى النار ؛ فإن الساعة تقوم في يوم جمعة ، ولا ينتصف ذلك النهار حتى يقبل أهل الجنة إلى الجنة ، قاله ابن مسعود ، وتلا قوله ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً** رضي الله عنهم [الفرقان : ٢٤] ، وثبت أن رسول الله ﷺ كان بالعَرج –مكان بين مكة والمدينة– يصب على رأسه الماء وهو صائم من العطش أو من الحر [١] ، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : صوموا يومًا شديدًا حره لحر يوم النشور ، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور ، وكان الإمام أحمد بن حنبل يصوم حتى يكاد يغمى عليه فيمسح على

---

(١) رواه أبو داود ، وصححه الألباني .

وجهه الماء ، وسئل عن من يصوم فاشتد عليه الحر ، قال : لا بأس أن يبل ثوبًا يتبرد به ويصب عليه الماء .

وكانت بعض الصالحات تتوخى أشد الأيام حرًا فتصومه فيقال لها في ذلك ، فتقول : إن السعر إذا رخص اشتراه كل أحد ، فهي تشير إلى أنها تبحث عن العمل الذي لا يقدر عليه إلا قليل من الناس ، وهذا من علو الهمة .

وقد ذكر ابن رجب الحنبلي رحمه الله [1] أن الحجاج بن يوسف نزل في بعض أسفاره بماء بين مكة والمدينة ، فدعا بغذائه ورأى أعرابيًا فدعاه إلى الغذاء معه ، فقال الأعرابي : دعاني من هو خير منك فأجبته ، فقال : ومن هو ؟ قال : الله ـ تعالى ـ ، دعاني إلى الصيام فصمت ، قال : في هذا الحر الشديد ؟ قال : نعم ، صمت ليوم أشد منه حرًا ، قال : فأفطر وصم غدًا ، قال : إن ضمنت لي البقاء إلى غد ، قال : ليس ذلك إليّ ، قال : فكيف تسألني عاجلًا بآجل لا تقدر عليه ؟

---

(١) في كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف .

وفي الصحيحين عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحر وإن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما في القوم أحد صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحه رضي الله عنه ـ وفي رواية ـ أن ذلك كان في شهر رمضان .

ويذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصى عند موته ولده عبد الله ، فقال له : « عليك بخصال الإيمان » ، وسمى أولها الصوم في شدة الحر في الصيف .

قال الحسن : تقول الحوراء لولي الله وهو متكيء معها على نهر الخمر في الجنة تعاطيه الكأس في أنعم عيشة : أتدري في أي يوم زوجنيك الله ؟ إنه نظر إليك في يوم صائف وأنت في ظمأ هاجرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة وقال : انظروا إلى عبدي ترك زوجته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي رغبةً فيما عندي ، اشهدوا أني غفرت له ، فغفر لك يومئذ وزوجنيك .

فانظر يا عبد الله إلى الأجر والثواب والفضل العظيم على الصيام في حر الصيف ، فهيا قدم ثمن النعيم ، وأعد مهر الحور العين في جنة رب العالمين ، بل كان بعض السلف يشتاقون إلى الحر أثناء الصيام ، فلما سار بن عبد قيس من البصرة إلى الشام كان معاوية يسأله أن يرفع إليه حوائجه فيأبى ، فلما أكثر عليه قال : حاجتي أن ترد عليّ من حر البصرة لعل الصوم أن يشتد عليّ شيئًا فإنه يخف عليّ في بلادكم .

واعلم أن العطش في الحر من آثر الصيام في الدنيا يحميك ويقيك من عطش يوم القيامة ، جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى رضي الله عنه على سرية في البحر ، فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة ، إذا هاتف فوقهم يهتف : « يا أهل السفينة ! قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه » ، فقال أبو موسى رضي الله عنه :

« أخبرنا إن كنت مخبرًا » ، قال : « إن الله ـ تبارك وتعالى ـ قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف ، سقاه الله يوم العطش » [1] ، وفي رواية : « من عطَّش نفسه لله في يوم حار ، كان حقًا على الله أن يَرْويَه يوم القيامة » ، قال ابن عباس : كان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرًا فيصومه [2] .

وبكى أحد السلف عند موته ؛ فسئل : لماذا تبكي ؟ فقال : أبكي على أن يصوم الصائمون ولست فيهم ، ويصلي المصلون ولست فيهم ، ويذكر الذاكرون ولست فيهم ، فذاك الذي أبكاني .

وقال أحد السلف : لولا قيام الليل وصيام النهار ما أحببت البقاء في الدنيا .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا، والبزار، وقال الهيثمي: «رجاله موثقون»، وحسنه المنذري.

(٢) رواه البزار ، وقال الهيثمي: «رجاله موثوقون»، وحسنه المنذري .

وصية :

أخي وحبيبي في الله وأختي الفاضلة أوصيكم بهذه الوصية العظيمة في شأنها وفي أجرها وثوابها ، وهي سهلة ويسيرة في فعلها .

كلنا يتعرض للقلق أثناء النوم ، وخصوصًا في فصل الصيف ؛ لشدة الحر ، فيستيقظ الواحد منا لمدة دقائق ثم يعاود النوم مرة أخرى ، وربما يستيقظ لثوانٍ معدودة ثم يحاول أن ينام مرة أخرى دون أن يربح هذا الربح العظيم الذي أرشدنا إليه حبيبنا ﷺ ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من تعارّ من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال : اللهم اغفر لي أو دعا ، استجيب له ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته** » [1] ، فهيا بنا

---

(١) رواه البخاري .

نحافظ على هذه السنة المهجورة ونحييها ، وننشرها بيننا ، ونعلمها لإخواننا ، وندعو الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يتقبل منا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الوقفة السادسة :

حقوق الأبناء في فصل الصيف

المسلم يعترف بأن للولد حقوقًا على والده ؛ فيجب عليه أداؤها له ، وآدابًا يلزمه القيام بها إزاءه وهي تتمثل في اختيار والدته ، وحسن تسميته ، وذبح العقيقة عنه ، وختانه ، ورحمته والرفق به ، والنفقة عليه ، وحسن تربيته ، والاهتمام بتعليمه وتثقيفه وتأديبه ، وتحفيظه القرآن الكريم .

قال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ** رضي الله عنهم [التحريم : ٦] ، قال عليّ رضي الله عنه في تفسيرها : « أدبوهم وعلموهم » ، وقال ابن عباس : « اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، وأمروا أهليكم بالذكر ؛ ينجكم من النار » ، ففي هذه الآية الأمر بوقاية الأهل من النار ، وذلك بطاعة الله ـ تعالى ـ ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « من حق الولد على أبيه ، أن يعلمه الكتابة ، والرماية ،

وأن لا يرزقه إلا حلالًا طيبًا » ، وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ يشتكي عقوق ولده ، فسأل عمر الولد عن سبب عقوقه لأبيه ، فقال الولد : يا أمير المؤمنين ما حقي على أبي ؟ قال : أن يختار لك أمًا صالحة ، واسمًا حسنًا ، وأن يعلمك القرآن ، قال : يا أمير المؤمنين لم يفعل أبي شيئًا من ذلك ، لم يختر لي أمًا صالحة ولا اسمًا حسنًا ولم يعلمني شيئًا من القرآن ، فنظر عمر إلى الوالد وقال : لقد عققت ولدك قبل أن يعقك ولدك ، أي سبقته إلى العقوق .

واعلم أنه ما نحل [1] والد ولدًا من نَحْل أفضل من أدب حسن ، فنحن نريد أن نغتنم الإجازة الصيفية في تأديب أولادنا بالآداب الإسلامية ، وأن نحفّظهم في الكُتَّاب الصيفي القرآن الكريم ، وأحاديث النبي ـ عليه الصلاة والتسليم ـ ، فكما أننا نهتم بالعلوم الدنيوية في العام الدراسي ، وننفق عليها طوال العام ، فلابد أن نهتم أيضًا بالعلوم الدينية ، ولا نقلل

---

(١) « نَحَلَ » بفتح النون ، أي أعطى ووهب .

أبدًا من شأنها فهي أبلغ وأعظم ؛ لأنها هي الدين الذي نحيا ونموت عليه ، ولا نفرق في التعليم والتحفيظ والتأديب بين الذكر والأنثى ، فالكل مطالب بأن يتعلم ، وأن يتفقه في دين الله ، وقد قال ﷺ : « **من عال ثلاث بنات علَّمهن وزوجهن وأحسن أدبهن أدخله الله الجنة** »[1] ، وقال أيضًا ﷺ : « **من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ـ وفي لفظ : ـ دخلت أنا وهو الجنة كهاتين** »[2] ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** »[3] .

فأبشر يا من تربي أولادك على القرآن .

عن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ القرآن وتعلم وعمل به أُلْبِس والداه يوم القيامة تاجًا من نور ،**

---

(١) رواه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) اللفظ الأول في صحيح مسلم ، واللفظ الثاني عند الترمذي ، وابن حبان .

(٣) رواه البيهقي ، والطبراني ، وقال المزي : هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن ، وعندي أنه بلغ رتبة الصحيح .

ضوؤه مثل ضوء الشمس ، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا ، فيقولان : بم كسينا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن » [1] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يتبع الرجل يوم القيامة من الحسنات أمثال الجبال فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»**[2].

وفي الأثر: «يوتى بالرجل يوم القيامة فيجد في ميزانه أمثال الجبال من الحسنات، فيقول: ربي بما هذا ولم يبلغني إياه عملي؟ فيقال: تلك صدقة ولدك عليك».

وفي الحديث أيضًا: **«إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»**[3].

---

(١) رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه مسلم.

لهذا كان زكريا عليه السلام يبتهل إلى به راجيًا أن يمن عليه بذرية صالحة طيبة، رضي الله عنها قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ رضي الله عنهم فكانت الإجابة: رضي الله عنها فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ رضي الله عنهم [آل عمران:٣٨-٣٩].

وهذا يعقوب عليه السلام فقد بصره من كثرة بكاءه على ولده يوسف عليه السلام؛ لأنه كان يرجوا أن يستعمله في وراثة النبوة، قال تعالى: رضي الله عنها وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ رضي الله عنهم [يوسف:٦].

والمؤمنون كذلك يدعون ربهم ويتضرعون إليه رضي الله عنها رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا رضي الله عنهم [الفرقان:٧٤].

ولقد زكى الله ـ تعالى ـ إسماعيل عليه السلام قال ـ تعالى ـ :
﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴾ [مريم : ٥٤-٥٥] .

قال ابن القيم رحمه الله : فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى ؛ فقد أساء إليه غاية الإساءة ، فنحن نريد أن نربي هذا الجيل على الفضيلة ، وأن يكون من أصحاب المنهج الصحيح الذي يغير الله به هذه الأحوال المؤلمة في أمتنا ، نريد لهذا الجيل أن يتحمل الأمانة ، ويأخذ بأمته إلى بر الأمان ، فهذا عمرو بن سلمة رضي الله عنه كان يصلي بالناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره ست سنوات أو سبع سنوات [1] ، قارن بينه وبين من في عمره في زمننا هذا ، وهذا الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أسلم وعمره ثماني سنوات ،

---

(١) رواه البخاري ، وفيه : قال عمرو بن سلمة : « فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين » .

وكان عمه يعلقه في حصير ويدخن عليه النار وهو يقول : ارجع عن دين محمد ، فيقول الزبير : لا أكفر أبدًا .

وسمع الزبير بن العوام رضي الله عنه يومًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ، وهو في أعلى مكة ، فأخذ الزبير سيفه ، وخرج كالبحر الهائج في ضواحي مكة يبحث عن رسول الله ، فتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « **مالك يا زبير ؟** » قال : سمعت أنك قُتِلت يا رسول الله ، قال : « **فما كنت صانعًا ؟** » قال : أردت والله أن استعرض أهل مكة وأقتل من قتلك يا رسول الله ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولسيفه [(١)] .

بل هناك بطلان آخران دافعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما : معاذ بن عمرو ومعوذ بن عفراء ، يقول عبد الرحمن بن عوف : إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتّ فإذا عن يميني وعن يساري فَـتَيان حَديثا السن ، فقال أحدهما ـ سِرًّا من صاحبه ـ : يا

---

(١) رواه الحاكم ، وابن عساكر ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » ، وانظر « صفة الصفوة » .

عم أرني أبا جهل ، فقلت : يا ابن أخي فما تصنع به ؟ قال : أُخبرت بأنه يسب رسول الله ﷺ ، قال : والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا ، فتعجبت لذلك ، فغمزني الآخر فقال لي مثلها ، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس ، فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه ، قال : فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فقال : « **أيكما قتله ؟** » فقال كل واحد منهما : أنا قتلته يا رسول الله ، قال : « **هل مسحتما سيفيكما ؟** » فقالا : لا ، فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال : « **كلاكما قتله** » ، وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح [1] فانظر إلى البطلين كيف أنهما دافعا عن رسول الله ﷺ ؟ وكيف أنهما جاهدا في ميدان الكرامة ؟ وكيف تحملا المسئولية وعلت بهما الهمة إلى هذا الحد ؟!!

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، ومشكاة المصابيح ، والسلب : ما على المحارب من سلاح وطعام ، وما على دابته أيضًا ، وإنما خص بالسلب واحد منهما لأن الثاني قتل شهيدًا في نفس المعركة ، انظر « الرحيق المختوم » حول هذه المعركة .

وهذا أسامة بن زيد رضي الله عنه القائد الذي عيّنه رسول الله ﷺ على جيش كبير عرمرم في شهر صفر سنة ١١ هـ ، وأرسله إلى تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ليهدد الإمبراطورية الرومية ، وكان أسامة في هذا الوقت لم يزل حديث السن ، وفي الجيش من هو أكبر منه بل وأفضل في المنزلة ، وهنا تكلم الناس في قائد الجيش لحداثة سنه ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، وايم الله إن كان لخليقًا للإمارة ، وإن كان من أحب الناس إليّ ، وإن هذا من أحب الناس إليّ بعده** » (١) .

فانظر إلى هذا القائد المؤهل للقيادة العامة لجيش مثل هذا ، وتدبر قول الرسول ﷺ : « **إن كان لخليقًا للإمارة** » ، فهذه شهادة غالية وعظيمة ، أنه أهلًا وكفأً لهذه القيادة ، وقارن بين من هو في سن أسامة بن زيد أي ما يقرب من ثمانية عشر عامًا

(١) رواه البخاري .

تقريبًا في زماننا ، تره ليس له هدف ، ولا يستطيع أن يتحمل مسؤولية نفسه ، فضلًا عن أسرة أو عائلة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فنحن نحتاج مثل هؤلاء ، وهناك غيرهم كثير حَوَت سيرتهم الكتب ، فوجب علينا أن نربي أولادنا على طريقة تربية هؤلاء ، وعلى نفس المنهج ، فاغتنم وقت الصيف في تربية أولادك وتأديبهم وتعليمهم ، واغرز فيهم حمل هم هذا الدين والتضحية من أجله ومن أجل الدعوة إلى الله ﷷ .

واعلم أن من معالم المنهج النبوي في تربية الأولاد الاهتمام بالعقيدة والاهتمام بأمر الصلاة والاهتمام بالجانب الوقائي والحوار والمحاسبة المعتدلة ، وأسلوب الثواب والعقاب [1] .

---

(١) وأنصحك بسماع مجموعة أشرطة محو الأمية التربوية لفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن أحمد إسماعيل المقدم ، وإذا كنت تحتاج إلى منهج علمي وتربوي لأولادك فاقرأ الأساس والبنيان والبداية لمن سلك طريق الهداية للمربي الفاضل الأستاذ مصطفى دياب .

الاهتمام بالعقيدة :

لقد كان رسول الله ﷺ حريصًا على تعلق قلوب الأطفال والناشئة بالله ـ تعالى ـ وحده لا شريك له ، كما في قوله لابن عباس رضي الله عنهما ـ وكان غلامًا صغير السن ـ : « **احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، تعرف إلى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدة ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب** » (١) .

الاهتمام بأمر الصلاة :

فالتوجيه التربوي النبوي يحافظ على أمر الصلاة ، ففي الحديث : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها لعشر** » (٢) .

---

(١) رواه أحمد ، والحاكم ، والترمذي ، والطبراني ، والبيهقي .

(٢) رواه أحمد ، وأبو داود ، وحسنه الألباني .

الاهتمام بالجانب الوقائي :

الوقاية خير من العلاج ، فلابد من تقديم الوقاية على العلاج ، ومن ذلك قول النبي ﷺ : « **وفرقوا بينهم في المضاجع** »[1] ، هناك قنوات فضائية يشاهدها الأبناء والبنات دون ضوابط ، وهي غاية في الخطورة على الفكر والسلوك ، وانظر إلى التوجيه النبوي للفضل بن العباس رضي الله عنهما ، وكان ناشئًا صغير السن ، وقد أردفه خلفه ، فجاءت امرأة خثعمية تسأله فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، فصرف النبي ﷺ وجه الفضل عنها ويصرفها عنه[2] .

الاهتمام بالحوار :

أخرج الإمام أحمد عن أبي إمامة رضي الله عنه أن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي بالزنى فأقبل عليه القوم فزجروه ، فقال رسول الله : « **ادنه** » ، فدنا منه قريبًا ، فقال : « **اجلس** » ، فجلس ، فقال رسول الله : « **أتحبه لأمك ؟** » ،

---

(١) رواه أحمد ، وأبو داود .

(٢) رواه مسلم .

فقال : لا والله ، جعلني الله فداك ، فقال : « **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، أفتحبه لأختك ، ولابنتك ولعمتك و ..** » ، والشاب يرد عليه بنفس الجواب السابق ، فوضع النبي ﷺ يده عليه ، وقال : « **اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وأحصن فرجه** » ، قال : فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت لشيء . فما أعظم حاجتنا اليوم إلى الحوار والمناقشة مع الأبناء على الطريقة النبوية .

المحاسبة المعتدلة :

لقد كان ﷺ يحاسب الناشئة على أخطائهم باعتدال دون إفراط أو تفريط ، ومن ذلك محاسبته لمعاذ بن جبل وكان شابًا يصلي بقومه فيطيل الصلاة بهم ، فقال له : « **أفتان أنت يا معاذ** » [1] ، فلم يسكت عن خطئه ، ولم يحمله أكثر مما يحتمل ، وفي المقابل اشتدت محاسبته لأسامة بن زيد ، وقد شفع في حد من حدود الله حين وسطه بعض الناس ليطلب من النبي ﷺ

(١) رواه أحمد .

عدم قطع يد المرأة المخزومية التي سرقت ، فغضب النبي ﷺ وقال : « **أتشفع في حد من حدود الله** » (١) .

أسلوب الثواب والعقاب :

وهذا الأسلوب من معالم المنهج النبوي في تربية الأبناء ، ففي الصحيحين عن ابن عباس في قصة مبيته وهو طفل عند النبي ﷺ قال : فدخل النبي ﷺ الخلاء فوضعت له وَضوءًا ، فدعا له رسول الله ﷺ : « **اللهم فقِّهُّ في الدين وعلمه التأويل** » فكان هذا الدعاء العظيم مكافأة على فعل إيجابي .

كافِئ ابنك كلما تقدم في الحفظ وغيره ، قال إبراهيم بن آدهم : قال لي أبي : يا بني اطلب الحديث ، فكلما سمعتَ حديثًا وحفظتَه فلك درهم ، قال : فطلبت الحديث على هذا ، وقد قال رسول الله ﷺ « **من صنع إليكم معروفًا فكافئوه** » (٢) .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه أحمد ، وصححه الألباني .

واعلم أن العقاب المناسب هو الذي يمنع من تكرار الخطأ ويدفع إلى الصواب ، فهناك النظرة الغاضبة ، والزجر بالقول ، والهجر مدة معينة ، ولا يكن الضرب هو الأسلوب المفضل لديك إلا في الأمور التي تستدعي ذلك ، كأمر الصلاة مثلًا ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **واضربوهم عليها لعشر** » .

اللهم بارك لنا في أولادنا ، واجعلهم ذخرًا لنا يا رب العالمين .

الوقفة السابعة :
هُويتنا في فصل الصيف

في فصل الصيف يظهر التقليد الأعمى لأهل الكفر والضلال ، في فصل الصيف ترى الملابس وقصات الشعر التي هبّت على بلادنا من هنا وهناك ، وترى الموضات الحديثة كما يزعمون ، ترى صنفًا من الشباب وكأنه لا يفكر ، ليس له استقلالية ولا شخصية ولا هُوية ، وكل ذلك بسبب العولمة والانفتاح الخطير عبر الانترنت والفضائيات ، حتى وصل بنا الأمر أننا نرى الآن من يستحيي من إقامة بعض الشعائر التعبدية ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال لويس التاسع : « إن الغزو العسكري لا يكفي لهزيمة المسلمين ، ولكن لابد من غزو عقيدتهم » ، يقول شيخنا الفاضل د. ياسر برهامي ـ حفظه الله ـ : « ولن يرجع للأمة عزها وكرامتها إلا بشخصيتها المستقلة المستمدة من دينها وبمحافظة أفرادها على هُويتهم التي منَّ الله عليهم بها

بالتمسك بالوحي المنزل على رسوله ﷺ وجعلهم بها أمة واحدة »[1] ا.هـ

واعلم أن الهوية هي مفهوم يكوّنه الفرد عن فكره وسلوكه الاعتقادي والاجتماعي ، وكما أن للفرد هوية ، كذلك للأمة هوية مستقلة تتميز بها عن غيرها ، وكلما تشابهت وتوافقت هوية الفرد مع هوية المجتمع وتوافقتا تعمق إحساسه بالانتماء لهذا المجتمع ، واعتزازه به ، وانتصاره له ، وأما إذا تصادقنا ، هنا تكون أزمة الاغتراب ، قال ﷺ : « **إن الإسلام بدأ غريبًا ، وسيعود غريبًا ؛ فطوبى للغرباء** »[2] ، إننا نعيش أزمة في قضية الهوية ، وهي من أخطر الأزمات على الإطلاق ، فأنت قد تسير في الطريق ، وترى فجأة بعض الشباب يعلقون علم أمريكا في أعناقهم أو في سياراتهم ،

---

(١) انظر تقديم الشيخ ياسر برهامي لرسالتنا « أوثق عُرى الأيمان » .

(٢) رواه مسلم من حديث ابن مسعود ، وكذا رواه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه .

وهناك من يفتخر بأنه حصل على جنسية بلد كافرة ، وهناك من يسمي أولاده بأسماء لا هي بالإسلامية ولا هي حتى عربية ، وهناك من الشباب من يمسك بيده صليبًا ويسميه مفتاح الحياة ، ويقول : هو من عهد الفراعنة ، وهنا يتحقق قول النبي ﷺ : « **لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه** » ، قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : « **فمن ؟** »[1] .

إن إضعاف الهوية الإسلامية أخطر وأشد فتكًا بالأمة من نزع سلاحها .

في آخر عام ١٩٦٧م ألقى وزير خارجية الدولة اللقيطة « أبا إيبان » محاضرة بجامعة برنستون الأمريكية قال فيها : « يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبه الإسلامي بعد الهزيمة ، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل ، ولذا كان من أول واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه وغيرهما صححه الألباني في صحيح الجامع .

القومي لا الإسلامي » ا.هـ .

ولكن في المقابل ، ترى تمسك اليهود بهويتهم الدينية فاق كل تخيل ، فإن دولتهم اللقيطة تحمل اسم نبي الله يعقوب عليه السلام وإن كان هو بريئًا منهم براءة الذئب من دم ابنه يوسف عليهما السلام ، ودولتهم تقوم على أساس ديني ودستورها التوراة ، وعندما أراد العدو اليهودي إقامة سفارة له في القاهرة أصر على أن يكون موقعها على الجبهة الغربية من النيل ، احترامًا لعقيدتهم لأنهم يزعمون أن حدود دولة إسرائيل الكبرى تنتهي عند الجبهة الشرقية منه ، بل وعلم دولتهم فيه خطان أزرقان يرمزان إلى النيل والفرات ، وبينهما منطقة السيادة عليهما نجمة داود عليه السلام .

ويُذكر أنه في جنازة رئيس عربي رفضوا الركوب وأصروا على أن يسيروا على الأقدام في الجنازة احترامًا أيضًا لعقيدتهم ؛ لأن الجنازة كانت يوم السبت المعظم عندهم ، ويذكر أيضًا أنه في مفاوضات كامب ديفيد اعتذر الوفد الإسرائيلي عن الحضور

يوم السبت لأن هناك طقوسًا دينية لابد أن يؤديها الوفد في هذا اليوم ، علمًا بأن المفاوضات كانت مستمرة في يوم الجمعة ، يقول الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر السابق ﵀ : إن البحث عن هوية أخرى للأمة الإسلامية « خيانة كبرى وجناية عظمى »[1] .

وللأسف فإن التاريخ المعاصر حافل بأسماءٍ ونماذج قضوا على الهوية الإسلامية مثل : مصطفى كمال أتاتورك الذي مسخ هوية تركيا الإسلامية ، فلقد ألغى الخلافة ، وعطل الشريعة ، وألغى نص الدستور على أن الإسلام هو الدين الرسمي للبلاد ، وألغى المدارس الدينية ، والمحاكم الشرعية ، والحروف العربية واستبدلها باللاتينية ، بل وصل به الحد إلى أنه ألغى الأذان باللغة العربية وحوله إلى التركية ، وكذلك محمود عزمي الذي أعلن أنه يكره الحجاب لأنه من أصل غير مصري ، وكذلك طه حسين الذي دعا إلى متابعة الغرب في

---

(١) نقلًا من كتاب « هويتنا أو الهاوية » .

كل شيء ، وغير هؤلاء من الذين كان لهم دور في مسخ الهوية الإسلامية .

ومن أساليب طمس الهوية الإسلامية ، إضعاف العقيدة والإيمان ، وتخريب مناهج التعليم ، وتزييف التاريخ الإسلامي وتزويره ، والتقليل من شأن العلم ، والتآمر على اللغة العربية ، وإحياء أساطير الوثنية والخرافات الشركية ، وطمس المعالم التاريخية التي تؤكد الانتماء الإسلامي ، والترويج لدعوة العولمة والتقريب ، ورفع دعاوى تحرير المرأة ، وإشغال المسلمين بالترفيه والشهوات ، وتقسيم الدين إلى قشر ولب ، والتقليل من شأن القشرة مع أنها هي التي تحمي اللب ، وهي ما أسماه علماؤنا « الهدي الظاهر » ، فلابد لكل لب من قشر يصونه ويحميه ، وهذا التقسيم دخيل على الفهم الصحيح للكتاب والسنة ، ولم يعرفه سلفنا الصالح ، وغير ذلك من أساليب طمس الهوية ، إن هويتنا الإسلامية تستوعب كل مظاهر الشخصية ، وتحدد لصاحبها بكل دقة ووضوح هدفه

ووظيفته وغايته في الحياة ، والهوية هي مصدر العزة والكرامة ، قال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ** رضي الله عنهم [المنافقون : ٨] ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » (١) ، وهويتنا متميزة عما عداها ، قال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها **لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ** رضي الله عنهم [الكافرون : ٦] .

وقد عرف اليهود ذلك وشعروا أن رسول الله ﷺ كان يتحرى أن يخالفهم في كل شؤونهم الخاصة بهم ، حتى قالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه (٢) .

واعلم أن الهوية الإسلامية لا تعارض الشعور الفطري بحب الوطن ومسقط الرأس ، بل المسلمون الصادقون هم أصدق الناس وطنية ، وتجلى ذلك في عصرنا في مواقف رموز

---

(١) رواه الحاكم ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في الصحيحة .

(٢) رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي .

الدعوة الإسلامية في كافة البلاد الإسلامية وجهادهم وصمودهم ، وأحب الأوطان إلى المؤمن في حياته مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس ، فهذه البقاع الطاهرة من أحب البقاع إلى الله ﷻ ، ثم إن الإسلام هو أهلنا وعشيرتنا ، وحيث تكون الشريعة حاكمة وكلمة الله ظاهرة فَثَمَّ وطنُنا الحبيب الذي نفديه بالغالي والنفس والنفيس .

ولست أدري سوى الإسلام لي وطنًا

الشامُ فيه ووادي النيلِ سِيّانِ

وحيثما ذُكِرَ اسمُ الله في بلد

عدَدْتُ أرجاءَه مِن لُبِّ أوطاني

أما الوطنية بمعناها المحصور في قطعة أرض أو رسم أو لون أو جنس ، فهذا مفهوم دخيل لم يعرفه السلف ولا الخلف .

فأنت إذا تأملت قصة فرعون وأتباعه من المصريين مع

موسى عليه السلام وأتباعه من المؤمنين ، وأنت تقرأ الآيات وهي تقص علينا ما كان من أمرهم ، إلى أين تتجه عاطفتك ؟ إلى بني جلدتك المصريين أم إلى موسى وحزب الله المؤمنين؟

وما أجمل ما قال صاحب الظلال رحمه الله وأحسنه ، قال [1] : « عقيدة المؤمن هي وطنه وهي قومه وهي أهله ، ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها لا على أمثال ما تتجمع عليه البهائم من كلاءٍ ومرعى وقطيع وسياج ، والمؤمن ذو نسب عريق ، ضارب في شعاب الزمان ، إنه واحد من ذلك الموكب الكريم ، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم ، نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ** ﴾ [المؤمنون : ٥٢] ، فإن الرابطة الحقيقية هي رابطة لا إله إلا الله .

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ١٢) .

قال ـ تعالى ـ : رضي الله عنها ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ رضي الله عنهم [غافر : ٧-٩] ، وهنا إشاره إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله ، وبين بني آدم في الأرض إنما هي الإيمان بالله عز وجل .

فلابد لنا أن نحافظ على هويتنا الإسلامية في فصل الصيف والشتاء ، وفي كل زمان ومكان ، ولابد من إحياء المنهج الصحيح الذي كان عليه سلف الأمة في القرون الأولى ، لابد من العودة إلى منابع الإسلام الصافية ، لابد من التصدي لمحاولات تذويب الهوية وأن نربي أولادنا على الافتخار بدينهم وشرعهم ، وستعود الهوية إن شاء الله ـ تعالى ـ حتى إن

الشجر والحجر يقول : « .. **يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله** » الحديث [1] .

وأختم هذه الوقفة الهامة ، بكلمات في غاية الخطورة خرجت من « موشى ديان » وزير الحرب اليهودي ، حيث قال في إحدى جولاته في حي من أحياء قرية عربية باسلة ، وهو يخاطب شابًا مؤمنًا : إذا قام فيكم شعب يعتز بتراثه ، ويحترم دينه ، ويقدر قيمته الحضارية ، وإذا قام فينا شعب يرفض تراثه ، ويتنكر لتاريخه ، عندها تقوم لكم قائمة وينتهي حكم إسرائيل .

« فاعتبروا يا أولي الألباب » [2] .

---

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) ولمن أراد المزيد في قضية الهوية فليراجع كتاب « هويتنا أو الهاوية » لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم ـ حفظه الله ـ .

الخاتمة

وبعد هذه الوقفات السريعة حول فصل الصيف ، نقول : لابد من علو الهمة في مثل هذه الأيام ، وأن نقبض على ديننا ، وأن نأخذ بعزائم الأمور ، ولا تصبح الأعمال الفاضلة عندنا في المرتبة الثانية إذا تعارضت مع الأعمال المفضولة ، ولا نتوسع في دائرة المباح كما ذكرنا ، يقول ابن القيم رحمه الله : « سألت شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض المباح ، فقال : هذا يتنافى مع أصحاب الهمم العالية » .

فيا ليت الذين ينفقون المال كل عام لقضاء المصيف ، ينفقون المال لأداء العمرة ، وأن يكون الصيف بجوار الكعبة ، وفي مسجد رسول الله ﷺ ، فأيهما أفضل لقلبك وأرضى لربك ، الجلوس على شواطئ البحار أم الجلوس أمام الكعبة ؟! الجلوس في النوادي ومدن الملاهي أم الجلوس في الروضة الشريفة بجوار رسول الله ﷺ ، يقول رسول الله ﷺ :

« **اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من حلال** »[1] ، فحافظ على هذه السترة ، اترك بعض الحلال خشية الوقوع في الحرام ، فهيا نجدد العهد مع الله ﷻ ، ونبدأ صيفًا جديدًا بعد ما مر من أعوام عديدة كان الصيف فيها مملوءًا بالمعاصي والعياذ بالله ، وتب إلى الله مما فات ، واندم على الصيف الماضي ، وما كان فيه ، وأجب نداء الملك ـ جلا وعلا ـ وهو ينادي في الثلث الأخير من الليل : « **هل من تائب فأتوب عليه ؟** »، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً**

---

(١) رواه ابن حبان ، وصححه الألباني في « الصحيحة » .

فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ رضي الله عنهم [الزمر : ٥٣-٥٨] ، ولكن اعلم أن أبواب ملك الملوك لا تطرق بالأيدي ولا بالحجارة ، ولكن بالنداء والدعاء الخفي وبالدموع والتذلل لله جل جلاله .

قال قتادة رحمه الله : « سبحانك ربي ما أحلمك ، إذا كنت قلت لموسى وهارون أن يقولا لفرعون قولًا لينًا وهو الذي يقول : أنا ربكم الأعلى ، فيكف يكون حلمك بعبد يقول : سبحان ربي الأعلى » .

ولكن علينا أن نأخذ بالأسباب العفو والرحمة والمغفرة حتى ننجوا برحمة الله من عذاب الله ، قال تعالى: رضي الله عنها **مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ** رضي الله عنهم [النساء :١٤٧] .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ، قدم عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيًا في السبي ، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لَلّـه أرحمُ بعبادِه مِن هذه بولَدِها** » [1] ، فهو كما قال في القرآن الكريم :

---

(١) رواه البخاري ، ومسلم واللفظ له .

رضي الله عنها **وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ** رضي الله عنهم [المؤمنون : ١١٨] ، وقال ـ تعالى ـ حكاية عن موسى عليه السلام : رضي الله عنها **قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ** رضي الله عنهم [الأعراف : ١٥١] .

واعلم أن ذنبك مهما عظم فهو شيء ، والله ـ تعالى ـ يقول : رضي الله عنها **وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ** رضي الله عنهم [الأعراف : ١٥٦] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبها الفقير إلى عفو ربه

زين العابدين كامل

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين